

الفكر التربوي عند ابن مسكويه

Educational Thought in the Works of Ibn Miskawayh

تاريخ النشر: 2025/06/11

تاريخ القبول: 2024/12/09

تاريخ الإرسال: 2024/03/04

لخضر شكير¹، سمير حسنة²EMAIL: ¹مخبر مجتمع، تربية، عمل، جامعة مولود معمري، جامعة تيزي وزو، الجزائر،lakhdarchakir10@gmail.comEMAIL: ²جامعة تيزي وزو، الجزائر، samir.hasna@ummoto.dz

الملخص

يُعد ابن مسكويه في الحضارة العربية الإسلامية من القلة الذي كتبوا في التربية وعلم الأخلاق، وهو لذلك يُعد مؤسساً سابقاً لهذين الفرعين في الفكر الإسلامي. وتسعى هذه الورقة إلى الإجابة على الأسئلة الآتية: من هو ابن مسكويه؟ وما هي معالم الفكر التربوي عنده؟ وما هي جوانب الإضافة في فكره التربوي وما هي جوانب النقص؟ وهل تأثر بمن قبله من العلماء وهل أثر فيمن بعده؟ وهل بقي فكره في ظل التنظير أم خرج إلى شمس الممارسة؟

ولقد وصلت هذه الورقة إلى مجموعة نتائج هي: إن أهم شيء في التربية هو معرفة النفس، وهي موضوع التربية، وأهم شيء في التربية هي الأخلاق، وهي بين الفطرة والاكتساب، وأن الناس في التربية والتهذيب مراتب على المربي مراعاتها، وأن للوالدين الدور الأساس في التربية، ولا بد لهم من التدرج فيها، وللعقل دور وأثر في ذلك، والسعادة عند ابن مسكويه تتمثل في صحة البدن والثروة والأعوان وحسن الأحداث والنجاح وجودة الرأي، لكن السعادة العظمى هي سعادة الروح.

كلمات مفتاحية:

فكر تربوي، فلاسفة الإسلام، فلسفة إسلامية. قيم، تربية، أخلاق

المؤلف المرسل: لخضر شكير، الإيميل: lakhdarchakir10@gmail.com

Abstract:

In the Arab-Islamic civilization, Ibn Miskawayh is considered one of the few who wrote about education and ethics, and he is therefore considered a previous founder of these two branches of Islamic thought. This paper seeks to answer the following questions: Who is Ibn Miskawayh? What are the features of his educational thought? What are the aspects of addition in his educational idea and what are the aspects of deficiency? Was he influenced by the scholars before him, and did he influence those after him? Did his thought remain in the shadow of theory or did it emerge into the sun of practice?

Keywords:

Educational thought, Islamic philosophers, Islamic philosophy. Values, education, morals, Miskawayh.

1. مقدمة:

يُعد ابن مسكويه من القلائد الذين كتبوا في الأخلاق بشكل مستقل، ومن الكثيرين الذين هُضموا من حق الشهرة على مكانتهم الرفيعة في علم الأخلاق، وحتى في التاريخ، ولعل السبب في ذلك عدم ترجمة أعماله إلى اللغة اللاتينية في فجر العصر الحديث الأوروبي، فاهتم الناس بمن تُرجم لهم من العربية، وهم على الخصوص (من المتكلمين والفلاسفة): الغزالي، ابن رشد، الكندي، الفارابي، وابن باجة. وبقي ابن مسكويه غير مشهور كما ينبغي، وربما في طيّ النسيان. ولعل من أهداف هذه الدراسة محاولة كشف اللثام عن الرجل وفكره الأخلاقي والتربوي، ونشره على مرأى ومسمع الجميع، ليعلموا أن الشهرة لا تعني الصواب ولا السبق، وإنما هي حظوظ الدنيا ليس إلا. ولقد اعتمدت المنهج الاستقرائي (النسبي) في تتبع أهم قضايا الفكر التربوي عنده، بما يناسب حجم هذه الدراسة. التي قسمتها إلى مقدمة وثلاثة مطالب: مطلب أول للمفاهيم والمصطلحات، وثانٍ لحياة ابن مسكويه: مولدا ونشأة وثقافة

وأخلاقا. وثالث لأهم القضايا التربوية في فكره، ومنها على الخصوص: النفس، الأخلاق والسعادة. فما هي معالم الفكر التربوي عند ابن مسكويه؟

2. مدخل مفاهيمي.

1. 2. مفهوم التربية.

1. 1. 2. لغة: تدور معاني التربية في اللغة حول الرعاية والزيادة والإصلاح والنشأة والنماء والكمال. فقد ورد في القاموس المحيط: "فربّاهَا نمّاهَا وأصلحها، وربّرتَ الرجل إذا ربّيتيما، وربّرتُ الأمر أصلحته وجعلته متينا قويا، والربيبة: الحاضنة لأنها تصلح الشيء وتقوم به وتجمعه. فالكلمة تدل على معنى الإصلاح والجمع، وقد تستعمل مجازا في معنى التهذيب وعلوّ المنزل، فيقال: فلان في رباوة قومه: أي أشرفهم وساداتهم. وتعني التربية في اللغة أيضا: التغذية، أي تغذية الجسم وتربيته بما يحتاج إليه من مأكّل ومشرب، ليشبّ قويا معافا قادرا على مواجهة تكاليف الحياة ومشقاتها، فتغذية الإنسان تكون جسما وعقلا وروحا وإحساسا ووجدانا وعاطفة.

2. 1. 2. اصطلاحا: يختلف تعريف التربية اصطلاحا باختلاف وجهات النظر لكل فيلسوف أو تربوي؛ فأفلاطون -مع أستاذه سقراط- كان يرى في التربية عملية توجيه وجذب الأطفال إلى الطريق الذي رسمته القوانين وأكّدت عدالته خبرات ذوي العقول المفكّرة، كما رأى أن التربية والسياسة تهدفان لتحقيق النظام الأسّي في الحياة. والتربية عند أفلاطون مرتبطة بالأخلاق التي يقصد بها العلاقات الإنسانية وطرائق العمل. وأهمية ربط التربية بالأخلاق أنها تؤدي إلى كبح جماح الشهوات عند الإنسان وتدفعها إلى طريق الحق والخير فتعند المنازعات بين الناس. وركيزة الأخلاق عنده أن يؤمن الناس بإله وبدين يهديهم سواء السبيل. وقد اتفق أرسطو مع أستاذه أفلاطون في كون التربية من وظائف الدولة، وأنها تعتمد في تربية الرجل على عاملين مهمّين: الجسم الصحيح السليم، ثم تكوين عادات جسمية مناسبة، ثم يهدها تربية العقل السليم.

أما مفهوم التربية في الفكر الإسلامي فقد ركّز على الجانب العملي؛ فدعت من أول أمرها إلى تعليم الناس وتثقيف عقولهم وتصفية أرواحهم وتقوية أجسادهم ليكونوا أهلاً للمسؤوليات الدعوية الجديدة. واعتمدت التربية عند المسلمين الأوائل على التلقين والمحاكاة في مجتمع أنشئ على أصلي الكتاب والسنة.

2. مفهوم الفكر التربوي (أو فلسفة التربية).

تختلف تعاريف الفكر التربوي من مدرسة فكرية إلى أخرى؛ من وضعية إلى براغماتية إلى وجودية إلى مثالية إلى ماركسية. والحاصل أن الفكر التربوي هو وجهة نظر حول مشكلة التربية، أو رؤية للعالم تتضمن المسائل المتعلقة بتربية سلوك الفرد والجماعة وتوجيهه نحو الخير والمنفعة والسعادة.

3. مفهوم الأخلاق.

1. 3. 2. لغة: الخلق هو الطبع والسجية، وقيل: المروءة والدين. قال ابن فارس: "الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء [...] ومن ذلك: الخُلُق وهي السجية؛ لأنّ صاحبه قد قُدِّرَ عليه. وقال الفيروزآبادي: "الخلق (بضم وبضمّتين): السجية والطبع، والمروءة والدين". وقال ابن منظور: "الخلق: الخليفة، أعني الطبيعة، وفي التنزيل: "إنك لعلی خلق عظیم" (القلم/4)، والجمع أخلاق، ولا يُكسّر على غير ذلك."

2. 3. 2. اصطلاحاً: تُطلق الأخلاق في الفكر الإسلامي باعتبارين: أحدهما عام والآخر خاص. فمن العام ما ذكره الغزالي حين عرّف الخلق بقوله: "الخُلُق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر وروية.

3. سيرة ابن مسكويه:

1. حياته وعصره.

اختلف الناس في لقب الفيلسوف أحمد بن محمد بن يعقوب؛ فهو تارة: "مِسْكُوئِيه"، وتارة "ابن مِسْكُوئِيه"، ولكن المتفق عليه أنه: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه.



وُلد حوالي عام 330هـ ومات في صفر من العام 421، الموافق لـ 16 فبراير 1030م، كان مولده بالري من أسرة فارسية عريقة في النّسب، نزح بعدها إلى بغداد شاباً. عاش في العصر العباسي الثالث، وهو العصر الذي ضعفت فيه الخلافة العباسية، وقامت دويلات إسلامية صغيرة لا تعترف للخليفة الإسلامي إلا بالصفة فقط، ومن تلك الدويلات "الدولة البويهية" (320-447هـ)، لأن ابن مسكويه عاش ومات في رعايتها. تتلمذ على ابن سينا (ت 428هـ)، ولم يُقدّر الرئيس مواهبه، وليس هو بأول نابغة يخيب ظن الأساتذة فيه، ولم يذكره ابن مسكويه من شيوخه، وإنما ذكر شيخاً واحداً له وهو القاضي ابن كامل، وحتى هذا الشيخ فإن ابن مسكويه يحرص على القول بأنه لم يأخذ عنه إلا شيئاً واحداً ألا وهو دراسة "تاريخ الطبري" على يديه.

إنه الفيلسوف العربي الذي سبق فلاسفة أوروبا وعلماءها بثمانية قرون، من أمثال ولاس وداروين وهاكسلي وهيجل وجون راي ولامارك، فانتهى في علوم البيولوجيا والجيولوجيا من جماد ونبات وحيوان وإنسان إلى تقرير نظريات أصاب فيها كبد الحقيقة، فأيده العلم الحديث فيما ذهب إليه. هذا ما خلا فلسفته الأخلاقية وتراثه التاريخي الضخم، لكن كل هذا لم يجعل منه الشخصية ذات الاهتمام عند كثير من العلماء والمؤرخين والكتاب بشكل عام. ويرى بعضهم أن ابن مسكويه تعرّض لمصير ظالم، وأنه لم يُنصف كما يجب، إلا ما كان لشخصه من قبل بعض معاصريه، أما فلسفته وأعماله -التاريخية على الخصوص- فلم تحضّ بالاهتمام اللازم اللائق بشخصية فذة من مثل ابن مسكويه.

امتاز العصر الذي نشأ فيه ابن مسكويه بنضوج العلم وتكوين معاجم اللغة، ونمت الفلسفة وازدهرت، واستقرت نظريات الطبيعة والطب، واتسع خيال الشعراء، ونما فن التاريخ، وظهر النقد الأدبي؛ فلا عجب إذا ظهر في هذا العصر أمثال ابن سينا والهمداني والخوارزمي والمتنبي والأصفهاني والقيالي والثعالبي والتوحيدي والشريف الرضي والتنوكي والطبري وغيرهم. خدم ابن مسكويه الأسرة البويهية، من أمثال الوزير المهلب ثم الوزير العظيم ابن العميد والوزير أبي الفتح، ثم خدم الملك الظافر عضد الدولة ثم صمصام الدولة، وهكذا ظل ابن مسكويه يتنقل من خدمة وزير إلى سلطان في ظل الدولة البويهية،

حتى أحسن بدنوّ أجله فانتقل إلى أصبهان حيث مات سنة 421هـ، ودُفن في محلة "حاضو" بقبر مشهور معروف.

2. 3. ثقافته.

كانت ثقافة ابن مسكويه واسعة؛ فقد كان شديد العناية بدراسة الفلسفة والمنطق وعلوم الدين واللغة والأدب والتاريخ العام، والتاريخ الطبيعى وما يتصل به، والطب وما يتعلق بسبب منه. وكان -كما يصفه الثعالبي- "في الذروة العليا من الفضل والأدب، والبلاغة والشعر". وقد تزوّد من مجالس العلم ودور الكتب، وعُني عناية خاصة بالأخلاقيات؛ فدرس حكم الفرس والعرب والهنود والروم، وجمع ما وافق هواه من هذه الحكم الأخلاقية، وأخرجه في كتاب لا يزال مخطوطاً. هذا إلى جانب ما قرأه من كتب الحكمة عند أفلاطون وأرسطو وغالينوس. ويظهر أن الفلسفة اليونانية وصلت إلى أعماق قلبه؛ فتراه يقتفي أثر مناهج اليونان في عرض الآراء ونقد مظاهر الحياة العقلية والسياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في عصره. أين كانت الحياة الخلقية لذلك العصر بعيدة عن الحالة العلمية في الرقي والاطّراد؛ بحيث أصبح العالم الإسلامي في هذا العصر ميداناً للتنافس وازدحام الأهواء والشهوات، والاستباق إلى مظاهر الفوضى والاضطراب، وفي المقابل صلحت الحياة العقلية صلاحاً لم يُعرف له مثيل من قبل.

لهذا لم يقف ابن مسكويه في درسه الأخلاق عند الحدود التي رسمها الدين، بل اتخذ العقل أساس الأخلاق؛ فهو لا يفعل الخير لأنه أمر به، ولا يجتنب الشر لأنه نُهي عنه، وإنما يفعل ما يفعل ويترك ما يترك وفقاً لما اطمأنّ به عقله وأمر به وجدانه في حدود النفع والمنطق والحق. وهاك دستور الأخلاق في منظومته الفكرية والسلوكية: "إيثار الحق على الباطل في الاعتقادات، والصدق على الكذب في الأقوال، والخير وعلى الشر في الأفعال، وكثرة الجهاد الدائم لأجل الحرب الدائم بين المرء وبين نفسه، والتمسك بالشرعية ولزوم وظائفها، وحفظ المواعيد حتى ينجزها، وأوّل ذلك ما بينه وبين الله عزّ وجلّ، وقلة الثقة بالناس بترك الاسترسال، ومحبة الجميل لأنه جميل لا غير ذلك، والصمت في أوقات حركات النفس للكلام حتى يُستشار فيه العقل، وحفظ الحال التي تحصل في شيء حتى تصبح ملكة ولا تفسد

بالاسترسال، والإقدام على كل ما كان صواباً، والإشفاق على الزمان الذي هو العمر ليستعمل في المهم دون غيره، وترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغي، وترك التواني، وترك الاكتراث لأقوال أهل الشر والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم، وترك الانفعال لهم، وحسن احتمال الغنى والفقر والكرامة والهوان، وذكر المرض وقت الصحة، والهيم وقت السرور، والرضا عند الغضب ليقبل الطغي والبغي، وقلة الأمل، وحسن الرجاء، والثقة بالله عز وجل، وصرف البال إليه.

3.3 مؤلفاته ومنهجه وغرضه من التأليف.

لابن مسكويه كتب كثيرة قيّمة، منها: كتاب "تاريخ الأمم وتعاقب الهمم"، وكتاب "جاويزان خرد"، أو "الحكمة الخالدة"؛ جمع فيه آداب العرب والفرس والهنود والروم، وجعله مصداقاً للقوانين الخلقية التي ذكرها في كتابه "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق". وله كذلك رسالة صغيرة في السعادة كتبها لصديقه ابن العميد لا تخرج في معناها عما في التهذيب، وكتاب ثالث يسمى "الفوز الأصغر"، يعتبر أساساً لفلسفته الأخلاقية وإيمانه الديني الفلسفي، وله الفوز الأكبر ولعله هو نفسه "تهذيب الأخلاق". إضافة إلى مؤلفات أخرى من مثل: "مستوفي في الشعر" (أو مختار الشعر بحسب رواية خوانساري)، "الهوامل والشوامل"، وكذا كتب أخرى كثيرة تنسب إليه من مثل "أنس الفريد"، و"مقالات في الحكمة والرياضة"، وغيرها.

ويبدو أن ابن مسكويه قد تأثر بفلاسفة اليونان ليس فقط في مباحثه الفلسفية والأخلاقية أي في مضمون الفكر، بل تأثر كذلك بصورة الفكر اليوناني الأرسطي على الخصوص. وقد كان مسكويه منهجياً على درجة عالية، دلالة على نضجه وتمكّنه، وعلامة على ما وصل إليه البحث والتأليف في الحضارة العربية الإسلامية. ومن معالم المنهجية العلمية في كتابات ابن مسكويه (خاصة كتابه الأخير تهذيب الأخلاق): التفريق بين الأصل والفرع، وما يقال وما لا يقال. وأدرك سلفاً أن التطويل ليس من المنهج، وأن الإعادة لا ترفع من شأنه، وإذا كان لا بد من الإعادة للآخرين فبمقدار قليل لا يطغى على ما للمؤلف نفسه، فالبحث عنده تركيز ووقفه عند الأصل الذي هو للباحث.

يذكر ابن مسكويه صراحة غرضه من تأليف كتبه، ومنها "تهذيب الأخلاق" و"الحكمة الخالدة"؛ فيقول عن هدفه من نقل الحكم التي وضعها في "الحكمة الخالدة": "ليرتاض بها الأحداث [صغار السن]، ويتذكر بها العلماء ما تقدم لهم من الحكم والعلوم. والتمست بذلك تقويم نفسي ومن يتقوّم به بعدي. وغرضي الأقصى فيه الأجر والمثوبة من الله عز وجل، وهو ولي الخيرات والمُثيب على الحسنات". ويذكر في بداية كتابه "تهذيب الأخلاق" الغرض من كتابه قائلا: "غرضنا في هذا الكتاب أن نُحصّل لأنفسنا خُلُقاً تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة، وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة فيها ولا مشقة، ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي". ويظهر الطابع العملي في أخلاق ابن مسكويه؛ فليست قواعد للسلوك حبيسة النظر والفكر، بل هي إرشادات عملية لتقويم السلوك.

4. 3. أخلاقه وسلوكه بين النظر والممارسة.

تحوز هذه القضية مكانة مهمة في فكر ابن مسكويه كما في هذه الورقة؛ لكون الرجل منظرا فكريا وفلسفيا وأخلاقيا كبيرا من جهة، وكون هذه القضية في حد ذاتها ذات أهمية بالنسبة للفكر التربوي عند سائر المربين والتربويين في الماضي والحاضر. والسؤال هنا: إلى أي مدى يمكن أن يتطابق فكر الفيلسوف الأخلاقي مع سلوكه العملي؟ وهل يمكن للمنظر أن يكون قدوة للآخرين خاصة إذا علمنا أن الرجل الأخلاقي هو بشر مثل سائر البشر يخطئ ويصيب؟ وهنا نعيد طرح السؤال التقليدي: هل نأخذ من القدوة أقوالها أم أفعالها؟ وإلى أي مدى يمكن للقدوة أن يؤثر في متلقّيه سلبا أو إيجابا؟

يطرح محمد أركون هذه القضية، معتمدا على سيرة ابن مسكويه، وعلى الشهادات الحية لمعاصريه من كبار الشخصيات، ومنهم على الخصوص: أبو حيان التوحيدي.

يذكر أبو حيان التوحيدي صاحب كتاب "الإمتاع والمؤانسة" اسم ابن مسكويه مع أسماء أخرى غير مُرَحَّب بها، منها: ابن زرة وابن الخمار وابن السمع والقومسي ونظيف ويحيى بن عدي وعيسى بن علي. يقول التوحيدي: "وأما مسكويه ففقيه بين أغنياء وعبيّ بين أبناء لأنه شاذٍ [...] هذا مع تقطيع الوقت في حاجاته الضرورية والشهوية". وفي انصرافه عن العلم فترة من عمره يذكر عنه التوحيدي قائلا: "ولقد قطن 'العامري' [وهو من كبار العلماء

في زمنه [الريّ خمس سنين جُمعة [أي مجموعة]، ودرّس وأملى، وصنّف وروى، فما أخذ عنه مسكويه كلمة واحدة، ولا وعى مسألة". ويُرجع التوحيدي هذا الانصراف إلى ولّيه بالكيمياء وخدمة السلطان واحترافه في البخل بالدانق والقيراط على حدّ تعبير التوحيدي.

أما انفصال القول عن العمل فيزعم التوحيدي أنّ عامة المتفلسفة يقولون ما لا يفعلون قائلا: "على أيّ ما بهرجتُ مذهب المتكلمين، ولا زَيْفُ مقالة المتفلسفين، وإنما قلْتُ في أولئك إنهم ادّعوا العدل وعملوا بالجور، وأمروا بالمعروف وركبوا المنكر، ودعوا الناس إلى الله بالقول ونفروا عنه بالفعل". ويزعم أنّ ابن مسكويه كان من الذين يقولون ما لا يفعلون؛ فهو -في رأيه- يمدح الجود بلسانه وهو بخيل، ويؤثر الشحّ بالفعل، ويُمجّد الكرم بالقول لا بالعمل، "وهذا هو الشقاء المصبوب على هامة من بُي به، والبلاء المعصوب بناصية من غلب عليه". بل يصل الأمر بالتوحيدي إلى وصفه على -غرار البخل- بالكذب. ويصفه مرة أخرى أوصافا لا تليق بهما معا قائلا: "شاهدته ولم أحمّد عقله؛ فإنه كان صاحب وسواس وكذب وسقط، وكان مخدوعا في أوّل أمره، خادعا في آخر عمره". لكنه يذكره مرة بخير حين وصفه بلطافة اللفظ ورطوبة الأطراف ورقة الحواشي.

فكيف يمكن تفسير هذا التحامل على ابن مسكويه من متادّب مثل التوحيدي؟ فهل هو كَلّف زائد بالصناعة اللفظية الأدبية؛ التي تجنح به إلى عالم الفتازيا دون وعي منه؟ أم هو حساسية أقران عاشا في زمن واحد؟ أم هو حسد من عند النفس وغيره زائدة عن اللزوم على ما وصل إليه ابن مسكويه من حظوة عند السلطان دونه (أي دون التوحيدي)؟

لا يمكن ترك التوحيدي وشأنه في مثل هذه القضايا الخطرة، (وهو الوحيد الذي انتقص من ابن مسكويه)، وإنما الواجب تقديم رد موضوعي حول المسألة -ولو بشكل مبسّط- لا من أجل الدفاع عن شخص ابن مسكويه، وإنما من أجل الدفاع عن المواقف، وإنصاف الناس، وإقامة العدل بينهم، حتى يعرف المقتدي بمن يقتدي، فأقول:

-إنّ التوحيدي عاش في زمن ابن مسكويه، وقد علمنا ما وصل إليه من الحظوة والمكانة في بلاط البويهيين، وكل ذلك لم يصل إليه التوحيدي. فكان رده تنفيسا على مكنون وحسدا من عند النفس.

-إن التوحيدي قرين ابن مسكويه في الفضل والمكانة، فكان من الطبيعي أن يحدث من الحساسية ما قد حدث، بين أقران يتنافسون على المكانة، وإن بشكل غير منظور.

-كثير من أحكام التوحيدي صحيحة، لكن الكثير منها مبالغ فيها، وربما كان التشدد بالكلام، واتباع بلاغات اللغة هو ما أوصل التوحيدي إلى هذا الحد من الإسراف في الوصف والقدح.

-جل الأحكام المطلقة على ابن مسكويه كانت منصبة على بداية حياته، وكان فعلا في بلاط السلاطين وحظي ما حظي منهم من الممتع والملذات، وهو نفسه لم يُنكر كثيرا منها. وما هو نفسه يعترف بأن تربيته الأولى لم تكن على الطريقة المستقيمة؛ فهو يأسف لأنه لم يتلق تربية ملائمة في طفولته، بل اتبع طريقا مغايرة، طريق النجاح في هذه الحياة الدنيا ونيل ملذاتها. يقول: "ومن لم يتفق له ذلك في مبدإ نشوئه، ثم ابتلي بأن يُربّيه والده على رواية الشعر الفاحش وقبول أكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل الملذات [...] ثم صار بعد ذلك إلى رؤساء يُقرّبونه على روايتها وقول مثلها، ويُجزلون له العطية، وامتنح باقران يساعدونه على تناول اللذات الجسمانية، ومال طبعه إلى الاستكثار من المطاعم والمشارب والمراكب والزينة وارتباط الخيل الفُرة، والعبيد الرُوقة، كما اتفق لي مثل ذلك في بعض الأوقات، ثم انهمك فيها واشتغل بها عن السعادة التي هو أهلٌ لها، فليغدّ جميع ذلك شقاءً لا نعيما، وخسرانا لا ربحا، وليجتهد على التدرّج إلى فطام نفسه منها، وما أصعب ذلك، إلا أنه على كل حال خير من التماذي في الباطل". فهنا توضيح كاف لما كان يعيشه في بدء حياته، والمغريات التي كانت تحيط به من كل حذب وصوب، وسوء التربية في الطفولة، والصحبة الطالحة في الشباب، كل ذلك أوصله إلى المهالك المعنوية، لكنه لما بلغ أشده وبلغ أربعين سنة عاد تائبا نادما على ما ضاع من العمر. وهذا أمر حدث ويحدث لكثير من الأعلام، فالعبرة بحسن الخاتمة، لا بالبداية المتعثرة.

-أما انفصال القول عن العمل عند المتفلسفة -على حد تعبير التوحيدي- فلا يمكن قبوله بإطلاقه؛ فهي ابن مسكويه ينتقد على المتصوّفة انزعالهم عن الناس، قائلا: "القوم الذين رأوا الفضيلة في الزهد وترك مخالطة الناس وتفردوا عنهم إما بملازمة المغارات في

الجبـال وإما ببناء الصوامع في المفاوز، وإما بالسياحة في البلدان، لا يحصل لهم شيء من الفضائل الإنسانية التي عددناها". وها هو يعلن عدم اكتفائه بالعلم دون العمل، بل يشترط العمل في القول، ذاكرًا كلام أرسطو القائل: "ليس في معرفة الفضائل كفاية بل الكفاية في العمل بها."

-أما وصفه بأنه "كان مخدوعاً في أول أمره، خادعاً في آخر عمره". فلئن كان مخدوعاً في أول أمره -كما هي عادة كثير من الناس في ريعان الشباب؛ حيث القوة البدنية والسلطة والمال والجاه- فهو ليس خادعاً في آخره عمره؛ كيف لا وهو الذي أراد استدراك ما فاتته وإصلاح ما أفسده، وهو الذي نظّر للأخلاق العملية في كتابين على الأقل، وهما "تهذيب الأخلاق" و"الحكمة الخالدة".

-إن التوحيدي -في آخر المطاف- بشر يخطئ ويصيب، مثله مثل ابن مسكويه أو غيرهما. ثم إن الحكم على الناس -في مثل تلك الظروف والملابسات- من الصعوبة بمكان؛ فهذا التوحيدي نفسه يعترف بمدى بصعوبة الموضوعية في إطلاق الأحكام على الآخرين قائلاً: "فكيف الإنصافُ في وصف هذين الرجلين على هذين الحدين، مع سرف الهوى، ووقدان الغيظ، وعادة الجور، وداعية الفساد، وصارفة الصلاح". وهو نفسه يعترف لابن مسكويه بالفضل وحسن الخلق في مواضع أخرى، منها قوله -بعدما نقل نص العهد الذي عاهد به ابن مسكويه نفسه، والذي يمثل الأصول الخمسة عشر-: "وهذا آخر العهد، وهو غني عن تقرّظي ودلّالي على حسنه لظهور الحق عليه، فمن جعل هذه نبيلة صدره، وعقيدة سرّه، ووسيلة بينه وبين ربه فهو الفيلسوف الحق، المُبرّز المُحقّق". فتبقى أحكام التوحيدي خاصة به هو نفسه دون غيره، وخاصة بالفترة الزمنية الحرجة التي عاشها معاً، وخاصة بعلاقة شخصية أكثر منها بمواقف فلسفية.

4. أهم القضايا التربوية في فكره.

لا شك أنّ ابن مسكويه من كبار الفلاسفة الأخلاقيين في العالم الإسلامي، ولقد اهتم بالأخلاق والتربية أيما اهتمام، خاصة في كتبه المتأخرة. "ونلاحظ أنّ الهمم التربويّ (أو البيداغوجي) مُهيمن على كتاب "تهذيب الأخلاق"، مما يدل على أنّ المؤلف يريد بالفعل أن

يصلح الناس أو أن يؤثر عليهم". وهذا ما صرح به في بداية "تهذيب الأخلاق" عندما ذكر غرضه من تأليف الكتاب قائلاً: "ويكون ذلك بصناعة [أي بمنهج علمي] وعلى ترتيب تعليمي" ، أي على نظام بيداغوجي يصلح أن يكون سنداً للتربية والتعليم. ومن أهم القضايا التي عالجها في كتبه نذكر:

1. 4. النفس الإنسانية:

إنَّ أهم شيء عند الإنسان العاقل هو معرفة نفسه، ما هي، وما لها وما عليها. وليس ذلك بالأمر الهين، يقول ابن مسكويه: "لو كانت معرفة النفس أمراً سهلاً ما تعبت لها الحكماء، ولا تبرمت بها الجهال، ولما أنزل في الوحي القديم: "يا إنسان اعرف ذاتك". ومعرفة النفس عنده هي أولى خطوات تربيتها وحملها على السلوك القويم؛ فهو يذكر -بعد تبين الغرض من كتابه "تهذيب الأخلاق" وهو تحصيل الخلق لتصدر الأخلاق عنا جميلة- الطريق إلى ذلك قائلاً: "والطريق في ذلك أن نعرف أولاً نفوسنا ما هي؟ وأي شيء هي؟ ولأي شيء أوجدت فينا؟ أعني كمالها وغايتها وما قواها وملكاتا التي إذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها هذه الرتبة العلية."

إنَّ النفس عند مسكويه جوهر مغاير لجوهر الجسم لأنها لا تتغير ولا تستحيل كما تتغير وتستحيل الأجسام. فهو يعتقد "أن فينا شيئاً ليس بجسم، ولا بجزء من جسم، ولا عرض، ولا محتاج في وجوده إلى قوة جسمية، بل هو جوهر بسيط غير محسوس بشيء من الحواس". ويؤكد موقفه هذا بعد قليل قائلاً: "فليست النفس إذأً جسماً". إنه بهذا الحد لا يختلف عن حد أفلاطون لها؛ الذي يحدها بأنها جوهر مخالف لجوهر البدن. وكما أنَّ البدن يرغب في أفعال لا تشوّق النفس إلى فعلها، فكل يشاق لما يناسب طبيعته. يقول ابن مسكويه: "فإنَّ تشوّقها [أي النفس] إلى ما ليس من طباع البدن، وحرصها على معرفة حقائق الأمور الإلهية، وميلها إلى الأمور التي هي أفضل من الأمور الجسمية، وإيثارها لها وانصرافها عن الأمور واللذات الجسمانية، يدلنا دلالة واضحة أنها من جوهر أعلى وأكرم جداً من الأمور الجسمانية."

أما قُوى النفس عند ابن مسكويه فهي ثلاث: القوة التي يكون بها الفكر والتمييز والنظر في حقائق الأمور، وهي "النفس الناطقة" بتعبير أفلاطون، والقوة التي يكون بها الغضب والتجدة والإقدام على الأهوال والشوق والتسلط والترفع، وضروب الكرامات، وهي "النفس الغضبية" بتعبير أفلاطون، والقوة التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاء والشوق إلى الملاذ التي في المأكّل والمشارب والمناكح وضروب اللذات الحسية، وهي "النفس الشهوانية" بتعبير أفلاطون. ويذكر في كتاب الفوز الأصغر كلاماً مشابهاً لهذا: قائلا: "يفعل الإنسان أفعالا بعضها بالشهوة، وبعضها بالغضب، وبعضها بالعقل."

وكما أنّ للنفس ثلاث قوى كذلك للنفس ثلاث فضائل هي: الحكمة والعفة والشجاعة، ولما كانت هذه الفضائل وسطاً بين رذائل لزم الاعتدال بإضافة فضيلة الاعتدال أو العدل، قائلا: "فلذلك أجمع الحكماء أنّ أجناس الفضائل أربعة وهي: الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة". وهذا تقسيم أفلاطوني بحث، يدل دلالة واضحة على تأثر صاحبنا بالمذهب الأفلاطوني. كما تأثر بسقراط في القول إنّ اللذة ضد الألم والألم ضد اللذة، والاستمتاع بأية لذة جسمية له حدود إذا تجاوزها المرء تحوّل إلى ألم. يقول: "وإننا نعرف أنّ أوّل من قال بهذه الفضائل الأربع هو سقراط وتلميذه أفلاطون."

يشرح ابن مسكويه الفضائل الأربع بتعابير أفلاطونية خالصة؛ فيقول: إن الحكمة هي فضيلة النفس الناطقة، وأما العفة فهي فضيلة الحس الشهواني، وأما الشجاعة فهي فضيلة النفس الغضبية. ثم لا يلبث أن يزيد فضيلة العدالة إلى هذه الفضائل ليتم التوازن بينها، فيقول: "فأما العدالة فهي فضيلة للنفس تحدث لها من اجتماع هذه الفضائل الثلاث التي عددناها، وذلك عند مسالمة هذه القُوى بعضها لبعض واستسلامها للقوة المميزة."

2. 14. الأخلاق:

يعتبر ابن مسكويه من فلاسفة المسلمين الذين اهتموا بالأخلاق اهتماماً خاصاً؛ فقد رأينا أكثر الفلاسفة يتعرضون لخلود النفس ومشاكل الأخلاق بصورة عرضية بالنسبة لفلسفتهم العامة، أما ابن مسكويه فقد اتجه إلى دراسة الأخلاق اتجاهاً كاملاً، وألّف عدة كتب في الأخلاق بالإضافة إلى عدة كتب أخرى فلسفية وطبية وتاريخية. يُعرّف ابن مسكويه



الخلق قائلا: "الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب ويُهَيِّج من أقل سبب [...] ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه الفكر ثم يستمر عليه أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقاً."

1. 2. 4. الأخلاق بين الفطرة والاكْتِسَاب:

هذه المسألة قديمة قدم الفكر الإنساني، وهي قضية الشخصية البشرية، وهل تخضع لنداء الفطرة، أم لتدريب الاكْتِسَاب. وقد استجابت دراسة الأخلاق إلى مثل هذا السؤال؛ فطرح الأخلاقيون والفلاسفة مثل هذا السؤال، وحاولوا الإجابة انطلاقاً من نظرتهم للحياة ورؤيتهم للعالم. والهدف من إعادة طرح هذه المشكلة في هذه الورقة هو الانسجام بين كون الأخلاق مكتسبة غير قابلة للتعديل والتشذيب، وبين كونها قابلة للتقويم والتهديب عن طريق التربية. وهذا ابن مسكويه يذكر الخلاف في المسألة قائلا: "فقال بعضهم: من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه. وقال آخرون: ليس شيء من الأخلاق طبيعياً للإنسان". ثم يُفَنِّد تلك الآراء كلها، ويُبيِّن رأيه في المسألة بشكل صريح قائلا: "ولا نقول إنه غير طبيعي؛ وذلك أنا مطبوعون على قبول الخلق، بل ننتقل بالتأديب والمواعظ إما سريعاً أو بطيئاً". وهذا الحل من ابن مسكويه حل منطقي خالص؛ وذلك للخروج من مأزق الاعتراف بالعقل للإنسان من جهة، والقول بالفطرة من جهة أخرى، لأن القول بالفطرة يبطل القول بقوة التمييز عند الإنسان الذي يُعرفه أرسطو بأنه: "حيوان عاقل"، أي مميز، والمميز من صفاته القدرة على تغيير السلوك بقوة الإرادة. والغاية من هذا كله هو التنبيه إلى ضرورة تعديل الأخلاق والسلوك الرديء، وذلك بالموعظة والنصيحة من قبل المُربي وحسن التدريب، والتعقل والإرادة من قبل المُتربى وحسن التهذيب.

2. 2. 4. مراتب الناس في قبول التهذيب :

يرى ابن مسكويه أنّ مراتب الناس في قبول الأدب -الذي سمّاه خلقاً- كثيرة، ويظهر هذا في الأطفال؛ فإنّ أفعالهم تصدر عنهم من غير روية ولا فكر، ويظهر استعداد الأطفال لقبول الأدب أو نفورهم عنه منذ الطفولة.



وانطلاقاً من تقسيم قوى النفس إلى قوة عاقلة وأخرى غضبية وأخرى شهوية، فإن ابن مسكويه يشير إلى مراتب التهذيب والتعليم؛ فهؤلاء الأطفال ليسوا على مرتبة واحدة في قبولهم الخلق أو العلم. وهذه القوى متباينة: تقوى إحداها وتضعف بحسب المزاج أو العادة أو التأديب، وإذا قوي أحدها أضرّ بالآخر وأبطل فعله. وعليه فإذا كانت حركة النفس معتدلة وكان شوقها إلى المعارف سليماً حدثت عنها فضيلة العلم، وأدّت إلى الحكمة، والحكمة هي فضيلة النفس الناطقة المميزة، وتثمر الحكمة المعرفة بالمفعولات: أي ما يجب أن يفعل وهو الفضائل، وما يجب أن يُترك وهو الرذائل. وأما فضيلة القوة الشهوية فتتمثل في التحكم في الشهوة بحسب الرأي والعقل؛ بحيث تكون هذه القوة مُنقادة لمقتضى الحكمة، وفضيلة هذه القوة هي العفة. وفضيلة القوة الغضبية هي الشجاعة، وهي الانقياد في لحظة الغضب لما يوجبه الرأي ولما تقتضيه الحكمة، وبفضل هذه الفضيلة تكون النفس أكثر ثباتاً في المواقف العصبية، وأكثر قدرة على احتمال الآلام والثقة بالنفس واجتناب التهور والطيش.

ولعلّ هذا الذي أسسه ابن مسكويه - ومن قبله أرسطو- حول تقسيم قوى النفس البشرية- هو الأرضية الصلبة التي وقفت عليها الدراسات النفسانية الحديثة في علم النفس التربوي، وعلم النفس المعرفي والتنمية البشرية، هاته العلوم التي تُركز على ضرورة الانتباه إلى اختلاف النفوس أو اختلاف أنماط الشخصيات من المتعلّمين (أو ما يسمى الفروق الفردية)؛ ففهم الذكي القوي الذكاء الذي يصلح للعلم النظري وإبداع النظريات وبراءات الاختراع، ومنهم القوي البنية ذو البسطة في الجسم، العملي الماهر في الصناعات والحرف، فيوجّهون إلى المهن الحرة والتكوين المهني، ومنهم القوي القلب، الشجاع في المُدلهمات، ويوجّهون إلى الحراسة والأمن الداخلي أو الخارجي. وهكذا نستفيد من كل هاته الطاقات فيما تحتاجه الأمة في مختلف القطاعات، دون حشرهم جميعاً في قطاع واحد، أو إنجاحهم زرافات ووحدانا إلى الجامعات، وملكاتهم لا تؤهلهم لذلك؛ فلا هم ينفعون أنفسهم بتحقيق طموحهم، ولا هم ينفعون الناس بمهاراتهم بمختلف الميادين، فنخسر الفرد والمجتمع على حد سواء.

واعتبر ابن مسكويه أن الدين والشريعة هي المَقْوَمُ الأساس لأخلاق الأطفال، والوازع الذي يُعوّدهم الأفعال المُرْضِية. والشريعة عنده هي التي تُعدّهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل وبلوغ السعادة، وذلك بالفكر الصحيح والقياس المستقيم. وعلى الوالدين أخذ أطفالهم بما تقتضيه الشريعة من آداب جميلة، وبضروب من السياسات مستقيمة.

4. 2. 3. صناعة الأخلاق (علم الأخلاق) :

إذا كانت الأخلاق مكتسبة عند ابن مسكويه، فهي قابلة للتهديب والتعديل، ومن هنا تصبح صناعة من الصناعات، وعلى كل واحد من المربين أن يُصبح صانعا ماهرا في تعديله سلوك أبنائه وتلاميذه. ويرى أن صناعة الأخلاق هي أفضل الصناعات كلها؛ لأنها تُعنى بتجويد أفعال الإنسان بما يحقق إنسانيته الكاملة، وإلا انحدر إلى مستوى الهيمة. والإنسان بسبب جوهره المتميّز مُزوّد بضروب الاستعدادات لبلوغ ذلك الكمال؛ فوجود الجوهر الإنساني متعلق بقدرة الله، وتجويد أفعاله مُفَوّض لإرادة الإنسان، وإذا عرف الإنسان جوهره حرّض على بلوغ كماله الخاص به عن طريق التربية والتهديب.

4. 2. 4. أثر الوالدين على تربية أبنائهم :

لا شك في دور الوالدين في تربية أبنائهم، ولا شك أنّ هذا الدور يبتدئ في الصغر، فالتربية في الصغر كالنقش على الحجر كما يقال، وأنّ أي إهمال لتربية النشء سوف يؤوّل إلى فساد أخلاقهم، ومن ثم إلى فساد المجتمع آجلا. ولا شك أن التربية الصالحة لا تكون بالأوامر والنواهي كما يعتقد كثير من الناس، بل تكون بالقرب والصحبة والحب والتواصل مع الأبناء. يقول ابن مسكويه: "وكذلك حال محبة الوالد لولده؛ لأنّ أنواع هذه المحبة مختلفة وأسبابها أيضا مختلفة كما قلنا. إلا أنّ محبة الوالد للولد، والولد للوالد -وإن كان بينهما اختلاف ما من وجه- فإنّ بينهما اتفاقا ذاتيا؛ وأعني بالذاتي ها هنا أنّ الوالد يرى في ولده أنه هو هو، وأنه نسَخَ صورته التي تخصه من الإنسانية في شخص ولده نسحا طبيعيا، ونقل ذاته إلى ذاته نقلا حقيقيا، وحقّ له أن يرى ذلك؛ لأنّ التدبير الإلهي بالسياقة الطبيعية التي هي سياسته -عز وجل- هو الذي عاون الإنسان على إنشاء الولد، وجعله السبب الثاني في إيجاده، ونقل صورته الإنسانية إليه. ولذلك يُحب الوالد الولدَ حتى يحبّ له جميع ما يجب

لنفسه، ويسعى في تأديبه وتكميله بكل ما فاته في نفسه طول عمره". وهنا يبدو واضحاً دور الآباء في تربية أبنائهم، واهتمامهم بهم ومحبتهم والنظر في شؤونهم كما ينظر الإنسان في شأنه، بل ويحب الوالد أن يكون الولد أفضل منه؛ لأن الوالد لم تتوفر له من ظروف التربية كما تتوفر للجيل الجديد من الأبناء. على أن يكون ذلك كله على ما تقتضيه الشريعة من الأوامر والنواهي، فهي الحاكم في التربية بعد العقل. يقول ابن مسكويه: "ولهذا السبب قلنا: إن السعيد هو من اتفق له في صباه أن يأنس بالشريعة ويستسلم لها، ويتعود جميع ما تأمر به، حتى إذا بلغ المبلغ الذي يمكنه معه أن يعرف الأسباب والعلل طالع الحكمة، فوجدها موافقة لما تقدمت عاداته به، فاستحكم رأيّه، وقويت بصيرته ونفذت عزمته".

4. 2. 5. التدرج في تهذيب وتعليم الأطفال :

إن تعليم الأطفال وتهذيبهم يحتاج إلى الوقوف على المراحل العمرية التي يمرون عليها؛ ففي كل مرحلة تأديب، وفي كل طور تهذيب. وأول قوة تظهر في الإنسان هي القوة التي يشترك بها إلى الغذاء الذي هو سبب الحياة، فيتحرك بالطبع إلى اللبن الذي يلتمسه من الثدي، ثم تبتدئ لديه قوة على التحرك وشوق إلى الأفعال التي تُحصّل له ما يشترك إليه، ثم تظهر لديه قوة التخيل لما يحبه مما يحقق له كماله، ثم تظهر قوة التمييز وقوة الغضب لدفع ما يؤذيه، "ثم يحدث له الشوق إلى تمييز الأفعال الإنسانية خاصة أولاً أولاً، حتى يصير إلى كماله في هذا التمييز، فيُستقى حينئذ عاقلاً". وهكذا يتدرج الإنسان في مراتب الكمال إلى أن يصل إلى الغاية الأخيرة، وهو الخير المطلق الذي تتشوق إليه النفس الناطقة؛ "فأول ما يحدث فيه من هذه القوة الحياء، وهو الخوف من ظهور شيء قبيح منه. ولذلك قلنا: إن أول ما ينبغي أن يُتفرّس في الصبي ويُستدل به على عقله الحياء". وهنا تبتدئ الحاجة للتأديب، وتكون النفس مستعدة لذلك؛ بتشجيعها على فعل الحسن وترك القبيح. مع التنبيه إلى ضرورة ترك التوبيخ للصبيان وعدم تعويدهم عليه؛ حتى لا يعتادوا على الوقاحة، وعندئذ تهون عليهم سماع الملامة في ركوب القبائح من اللذات.

4. 2. 6. دور العقل في تربية الأحداث وفي علاج أمراض النفس والبدن:

لا شك في دور العقل في التربية وفي علاج أمراض النفس والبدن عند الحكماء والفلاسفة، فها هو ابن مسكويه يؤكد تلازم العقل مع النفس والبدن قائلا: "ومما يؤخذ به من حفظ صحة نفسه أن يلتزم وظيفة من الجزء النظري والعملي، لا يسوغ له الإخلال بها البتة، لتجري النفس مجرى الرياضة التي تلزم في حفظ صحة البدن، وأطباء النفوس أشد تعظيما لها في حفظ صحة النفس. وذلك أن النفس متى تعطلت من النظر، وعُدمت الفكر والغوص على المعاني تبدلت وتبلهت، وانقطعت عنها مادة كل خير، وألفت الكسل وتبرمت بالروية واختارت العطلة، قرب هلاكها، لأن عطلتها هذه انسلاخا من صورته الخاصة بها، ورجوعا منها إلى رتبة البهائم، وهذا هو الانتكاس في الخلق نعوذ بالله منه". فإذا تعود النشء على الأمور الفكرية لم يصعب عليه في الكبر فهم الأمور على حقيقتها، فيصل بذلك إلى السعادة القصوى.

7. 2. 4. أدب المطاعم بين الصحة والمتعة:

يقدم لنا ابن مسكويه -نحن الأولياء والمربين- معالم الطريق لتربية وتهذيب الصبيان فيما يتعلق بأدب المطاعم، ونحن أحوج إلى مثل هذه التربية في هذا الزمن أكثر منه في أي زمن آخر؛ ذلك لانفتاح الدنيا على الناس في المأكولات، وشره العامة والخاصة بضروب التفتن في المطاعم، ونظر أغلبيهم إلى المتعة واللذة في المأكول دون الالتفات إلى قواعد الصحة والمنفعة. فها هو يقرر أن المقصود من الطعام الصحة لا اللذة، وأن الطعام خلق لصحة الأبدان وقوامها، وهو كالدواء يؤخذ منه ما يحفظ صحة البدن ويدفع عنه ألم الجوع، قائلا: "والذي ينبغي أن يبدأ به في تقويمها [أي النفس] أدب المطاعم، فيفهم أولا أنما إنما تراد للصحة لا للذة". وعليه أن يلتزم بأدب الطعام، وأداب المجالس واللباس، وأن يعتمد على نفسه في خدمة مصالحه.

8. 2. 4. منهج ابن مسكويه في الأخلاق:

كغيره من الفلاسفة الأخلاقيين يعتمد ابن مسكويه العقل أساسا في الأخلاق. يقول عن ذلك: "إن الإنسان دائما في جهاد النفس بقوة عقله، لأنه محتاج إلى ردها به، وإلى ضبطها من شهواتها الرديئة، حتى لا يصيب منها إلا بمقدار ما يُطلقه العقل ويحدّه لها، وما

يرسمه ويُبيحه إياها، ومن لم يقم بهذا الجهاد دائما مدة عمره فليس ممن له حظ في الإنسانية، بل هو خلع كالبهيمة الممثلة التي لا رقيب عليها من العقل"، فالعقل عنده عاصم الإنسان من وقوعه في المحذور، ومن أكله في الدنيا كما تأكل الأنعام، دون أن يكون العقل مُشرعا؛ فالتشريع لله وحده، والعقل آلة للفهم عن الله. يقول في موضوع آخر معرّفا المنطق بكونه: "الآلة في تقويم الفهم والعقل الغريزي، ثم الوصول به إلى معرفة الخلائق وطبائعها، ثم التعلق بها والتوسع فيها والتوصل منها إلى العلوم الإلهية."

ومنهجه في الأخلاق منهج فلسفي محض يتناول قضاياها النظرية تناولا ميتافيزيقيا لا يخرج عن دائرة سلفه من الفلاسفة، لكن الشريعة مهمة في تقويم الأخلاق عنده على رأي عبد الفتاح الفاوي، لكنه يستدرك بعد ذلك قائلا: "فلاسفة المسلمين وإن تابعوا في دراساتهم الأخلاقية منهج الفلاسفة اليونان غير أنّ آراءهم لم تخلُ من أصالة ولم تبتعد كثيرا عن الدين [...] كما أن دراساتهم للأخلاق لم تقف عند حد النظريات، وإنما اتّسمت بالزعة العملية؛ فنظروا إلى الرذائل على أنها أمراض للنفس تتطلب العلاج، وجعلوا من علم الأخلاق صناعة تستهدف علاج هذه الأمراض وحفظ صحة النفس، وإن كانت مع ذلك أقل تأثيرا من الدراسات التي قام بها علماء الدين."

وليس لابن مسكويه رأي خاص في الخلق -على رأي كثير من الدارسين، منهم عبد الحميد بيومي ومحمد أركون وإنما يتخيّر من بين الآراء ما يتفق مع المنطق والعقل، وأغلب آرائه الأخلاقية تعتمد على المشاهدة والاختبار. لهذا تأخذه الحيرة عند تعليل ما يعرض له من مختلف الآراء؛ فهو تارة مع غالينوس، وحينما مع أرسطوطاليس، وطورا مع العقل، وساعة مع الشرع، بحيث تصطدم في كتبه معالم المعقول والمنقول، ومن هنا جاء ترتيبه لآراء الحكماء في الخلق مُشوّها سينا في أكثر الأحوال.

وابن مسكويه في كتابته عن الأخلاق لا يكتب لعامة الناس وإنما للخواص؛ فيخاطب من درسوا المنطق وعرفوا كيف يكون البرهان والقياس. ولقد تجلّت قوة ابن مسكويه في كتابه التاريخي الجليل "تجارب الأمم وتعاقب الهمم": فلقد حارب فيه الرذائل المتفشية بين أهل زمانه، وحمل الكتّاب والعلماء مسؤولية إهمال الفساد، وأن السكوت عن المعاصي

جريمة. وقد أعجب المستشرقون بذلك الكتاب وبدقته العلمية، ومجّده الأستاذ مرغليوث في مقدمة لكتابه الإنجليزي "سقوط الخلافة العباسية"، وفي كتابه "محاضرات في مؤرخي العرب".

3. 4. السعادة:

كثيرا ما تحدث الفلاسفة والحكماء عن السعادة؛ ما هي؟ وما هي أسبابها، وما الطريق الموصولة إليه؟ وما هي عوائق الوصول إليها؟ ولا شك أن ابن مسكويه واحد من هؤلاء الذين اهتموا أيمّا اهتمام بها. فما مفهوم السعادة عنده وما مرتبتها؟ وما الطرق الموصلة إليها؟

1. 3. 4. مفهوم السعادة ومرتبها:

"السعادة شيء ثابت غير زائل ولا متغير، وهي أشرف الأمور وأكرمها وأرفعها". وتتمثل السعادة عند الحكماء بأمر خمسة: الأول: في صحة البدن ولطف الحواس واعتدال المزاج. الثاني: في الثروة والأعوان؛ بحيث يُصنع المال في مواطن الخير. الثالث: في حسن الأحوال؛ بحيث يكون ممدوحا بين الناس. الرابع: في النجاح؛ بحيث يؤدي كل ما يأمل فيه. الخامس: في جودة الرأي وصحة الفكر وسلامة الاعتقاد والبعد عن الخطأ والزلل. وبعد أن يذكر ابن مسكويه قوى النفس وفضائلها وخلودها يذهب إلى أن سعادة الإنسان هي الخير التام، بحيث لا يحتاج من بلغه إلى شيء آخر وراءه، وأن من بلغ به الأمر إلى هذه الدرجة من الفضيلة يكون سعيدا في نفسه، ولا يضره أي ألم الجسماني مما تعارف عليه الناس باسم المصائب أو الشقاء، لأنه سعيد بالخير الذي يغمره، والذي استطاع أن يتوصل إليه.

2. 3. 4. السعادة العظمى:

ينطلق ابن مسكويه في تأسيسه للسعادة القصوى من تقسيمه لفضائل النفس البشرية: وهي فضيلة روحانية تناسب الأرواح الطيبة كالملائكة، وفضيلة جسمانية تناسب الأنعام. فإذا بلغ الإنسان كماله انتقل من العالم السفلي (عالم المحسوس) إلى العالم العلوي (عالم الملائكة). والسعيد في نظر ابن مسكويه يكون في إحدى مرتبتين: إما أن يكون في رتبة الأشياء الجسمانية متعلقا بأحوالها السفلى، ومع هذا فإنه يبحث عن الأمور الشريفة

ويشتاق إليها. وإما أن يكون في رتبة الأشياء الروحية ويتعلق بأحوالها، ومع ذلك يطالع الأمور السفلى المحسوسة ويجد فيها دلائل الحكمة. ومن لم يكن في إحدى المرتبتين فهو في مرتبة الأنعام، بل هو أضل سبيلا. ومن كان في مرتبة السعادة التامة فهو مقيم في روحانيته بين الملائكة، خاليا من الآلام والحسرات، لأنه مسرور بذاته منبسط بحاله. يصف ابن مسكويه هذه المرتبة بقوله: "وهذه المرتبة التي من وصل إليها وصل إلى آخر السعادة وأقصاها، وهو الذي لا يبالي بفراق الأحباب من أهل، ولا يتحسر على ما يفوته منها، ويرى جسمه وماله وجميع خيرات الدنيا في السعادات التي في بدنه، وما كان خارجا عنها فهي كلُّ عليه إلا في ضرورات يحتاج إليها بدنه."

ويؤكد أن السعادة الناتجة عن المعرفة سعادة حقيقية يلتذ بها الإنسان، وإن أصابته محن ونكبات لا يتدمر منها، لئلا تفقده تلك الآلام لذته الحقيقية. والسعادة في نظره هي ألد الأشياء وأجودها، وهي قسمان: لذة انفعالية: مرتبطة بالشهوات، وهي لذة تزول سريعا. ولذة فاعلة: ويختص بها الإنسان، وهي لذة تامة وذاتية وثابتة. والطبع يميل إلى اللذة الحسية، وتندفع النفس لتحقيقها والوصول إليها، بخلاف اللذة العقلية فإنها مكروهة، ولا ينصرف إليها الإنسان إلا بعد رياضة وصبر. واللذة الحسية مؤقتة وناقصة، وقد يخلفها شعور بالندم وإحساس بالشقاء، بخلاف اللذة العقلية فهي مصدر السعادة، وهذه اللذة تسوق البدن من النقص إلى التمام، ومن السقم إلى الصحة. ويعلل ابن مسكويه ذلك بأن النفس تشتاق إلى اللذات الحسية، وفي لحظة الشوق هذه يستحسن الإنسان كل لذذ ولو كان قبيحا في ذاته، ولا يرى مواطن الغلط في سلوكه؛ لأنَّ الشوق يفقده القدرة على التمييز، وعندما يحصل على تلك اللذة يكتشف قبح اختياره ويشعر بالندم، ويفقد سعادته التي شعر بها، بخلاف اللذة العقلية التي تضيق بها النفس في بداية الأمر، ثم يعتادها بفضل الرياضة إلى أن يجد لذته فيها. وهذا هو مبرر حاجة الإنسان للشرائع الإلهية التي تنظم اختياراته، وتشجعه على سلوك الفضيلة التي تكمن فيها سعادته.

وهذا كله يؤكد أن التربية الأخلاقية تهدف إلى تعويد الإنسان على التزام الفضائل التي تكمن فيها سعادته العظمى، وبذلك يقع التفاضل بين الأفراد، ومعيار هذا التفاضل هو

تعميق إنسانية الإنسان بالاختيارات السلوكية النافعة التي تخدم الإنسان، وترتقي به إلى مستوى الإنسان الكامل.

ويلاحظ الدارس توفيقاً معتدلاً يُجريه ابن مسكويه بين أفلاطون وأرسطو وفلسفة الإسلام؛ فالسعادة عند أفلاطون تتمثل في القوة العاقلة وهي الحكمة، وعند ابن مسكويه كذلك. يقول: "إنَّ تحصيل السعادة على الإطلاق يكون بالحكمة". ويقول: "الفلسفة تنقسم إلى قسمين: الجزء النظري والجزء العملي؛ فإذا أكمل الإنسان الجزء العملي والجزء النظري فقد سعد السعادة التامة"؛ فبالنظر يمكن تحصيل الآراء الصحيحة، وبالعمل يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الأفعال الجميلة. فإنَّ أرسطو هو الذي جعل الفضيلة على نوعين أحدهما عقلي والآخر أخلاقي. ثم يقول: "إن الله تعالى أرسل الأنبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس على الأخذ والعمل بهذين الأمرين."

4.3.3. الفرق بين الخير والسعادة:

يقرر ابن مسكويه بدءاً أنَّ تفريقه بين الخير والسعادة إنما نقله عن أرسطو طالس بألفاظه، اقتداءً به وتوفية لحقه، قائلاً: "إن الخير على ما حدّه واستحسنه من آراء المتقدمين هو المقصود من الكل، وهي الغاية الأخيرة، وقد يُسمّى الشيء النافع في هذه الغاية خيراً، فأما السعادة فهي الخير بالإضافة إلى صاحبها، وهي كمال له". فالخير عام لكل المخلوقات، والسعادة لا تكون إلا للناطقين. والخيرات منها ما هي شريفة كالحكمة والعقل، ومنها ما هي ممدوحة كالأفعال الإرادية الجميلة، ومنها ما هي نافعة كالأشياء التي تُطلب للتوصل بها إلى الخيرات، والخيرات منها ما هي غايات كالسعادة فإنها مطلوبة لذاتها، وكذلك الصحة واليسار، وهناك خيرات ليست غايات بذاتها، وتطلب لفائدتها كالعلاج والتعلّم والرياضة.

4.4. آفة الحزن وعلاجها:

من الآفات النفسية التي عالجها ابن مسكويه آفة الحزن. ويعرفه بقوله: "إنه ألم نفسياني يعرض لفقدان محبوب أو قوّت مطلوب". وليس الحزن من الأشياء الطبيعية في

الإنسان، وإنما هو مكتسب يضعه الإنسان وضعا. ويرى أن الإنسان إنما يغتم بسبب هذه المحبوبات والمطلوبات، التي تُسلمه إلى الحزن والكدر، وربما الاكتئاب أو حتى الجنون، وهي أشياء فانية غير ثابتة، يجب على العاقل ألا يحزن على ما فات منها. وهو بهذا إنما يتأثر بأبي بكر الرازي الذي يقول: "إنه لما كانت المادة التي منها تتولد الغموم إنما هي فقد المحبوبات، ولم يكن في الإمكان أن تبقى هذه المحبوبات لتداول الناس لها وكرور الكون والفساد عليها فينبغي إذاً للعاقل أن يقطع مواد الغموم عنه بالاستقلال عن الأشياء التي يجلب فقدها غمّاً ولا يغترّ وينخدع بما معها". وسبب هذه الغموم -الذي هو الخوف من الفوات- هو ظن الإنسان أنّ تلك المحبوبات يمكنها أن تبقى ولا تزول، وأنها تبقى في ملكه على الدوام. فإذا أنصف العاقل نفسه وعلم أن كل ما في الأرض لا بد زائل، وإنما الثابت هو عالم العقل، لم يطمح في المحال ولم يطلبه، فأراح نفسه من مطلوب لا يُدرَك، ومن محبوب لا يوصل، ومن فاني لا بقاء له، وصرف سعيه -حينئذ- إلى الباقي الصافي من كدر الكون والفساد، وتعلقت نفسه بالآخرة التي لا يزول نعيمها، ولا يفنى خيرها، فلم يجزع حينها، ولم يحزن على ما فات، وصار أسعد الناس في الوجود.

4.5. الخوف من الموت وعلاجه:

كثير من الناس من يخاف من الموت خوفاً غير مبرّر، أو خوفاً مرضياً زائداً عن اللزوم، أو ما يمكن تسميته بـ "رهاب الموت" أو "قوبيا الموت". وهذا ناتج بسبب عدم فهمنا لحقيقة الموت، وكذا جهلنا بمصيرنا بعد الموت، وبأعمالنا قبل الموت، فيكون ذلك سبباً قوياً للتعاسة المزمّنة، وربما ظهور أمراض ومنغصات منها الأرق والقلق والاكتئاب. يقول ابن مسكويه: "إنّ الخوف من الموت ليس يعرض إلا لمن لا يدري ما الموت على الحقيقة، أو لأنه يظن أن بدنه إذا انحلّ وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور، وأنّ العالم سيبقى موجوداً وليس هو بموجود فيه، كما يظنّه من يجهل بقاء النفس وكيفية المعاد". وتخلصاً من هذا المأزق ينبري ابن مسكويه لتعريف الموت قائلا: "أما من جهل الموت ولم يدرك ما هو على الحقيقة فإننا نبين له أن الموت ليس بشيء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهي الأعضاء التي يُستعمل مجموعها بدنًا". وهذا التعريف منه مبني على تعريفه

للنفس، يقول عنها: "النفس جوهر غير جسماني وليست عرضا، وأنها غير قابلة للفساد [...] إنَّ ذلك الجوهر مفارق البدن مُباين له كل المباينة بذاته وخواصه وأفعاله وآثاره."

وعندما يقول: إنَّ سبب الخوف من الموت هو الجهل ببقاء النفس عندما تتخلص من الجسم تتشرف بهذا الخلاص، وتعود إلى عالمها القدسي، وتبقى في عالم أرقى مما كانت فيه. يتأثر الرازي القائل: "إنَّ الخوف من الموت ليس يمكن دفعه عن النفس إلا بأن يقنع أنها تصوير من بعد الموت إلى ما هو أصلح لها مما كانت عليه". ويرى ابن مسكويه أنَّ الخوف من الموت سببه الظن أنَّ للموت ألماً عظيماً، مع أنَّ الموت لا ألم له لأنه مفارقة النفس للبدن، فالجسم لا حس له بهذه المفارقة، ولا يحس بألم ما بعد هذه المفارقة. وهذا أيضا يأخذه من الرازي الذي يقول بهذا الشأن: "إنَّ الإنسان على قول هؤلاء ليس يناله من بعد الموت شيء من الأذى حس والحس ليس إلا للحي". ويعطي ابن مسكويه العلاج لهذا الوسواس قائلا: "وأما من ظن أنَّ للموت ألماً عظيماً غير ألم الأمراض التي ربما اتفق أن تتقدم الموت وتؤدي إليه، فعلاجه أن نبين له أنَّ هذا ظن كاذب؛ لأنَّ الألم إنما يكون للحي، والحي هو القابل أثر النفس، وأما الجسم الذي ليس فيه أثر النفس فإنه لا يألم ولا يُحسّ"

وعندما يقول ابن مسكويه: إن خوف الإنسان من الموت إنما يكون لأجل خوفه من العقاب الذي يوعد به، فإنه في هذه الحال إنما يخاف العقاب لا الموت، والحل في رأيه هو الاعتقاد بعدالة ربانية لا تظلم ولا تنسى، وبإله رحيم سبقت رحمته عذابه. ثم إنَّ العقاب لا يكون على الحسنات وإنما على السيئات، فالواجب على الخائف اجتناب السيئات، ويكون رأس الأمر في ذلك كله العلم الذي هو خلاف الجهل المؤدي إلى الأفعال الرديئة. وهو متأثر بقول الرازي: "فإنَّ شكَّ شاك في هذه الشريعة ولم يعرفها ولم يتيقن صحتها فليس له إلا البحث والنظر جهده وطاقته، فإن عَدِمَه فالله تعالى أولى بالصفح عنه والغفران له."

هذا، وقد ظهر للعيان أن الموت ليس شيئا رديئا، إنما الرديء الخوف منه، والخائف منه هو الجاهل بحقيقته من جهة، والجاهل بمصيره من جهة ثانية، ثم الجاهل بعدل ربه ورحمته من جهة ثالثة. فإذا تخلص العاقل من خوفه من الموت هانت عليه ملاذ الدنيا،

واستحقّر مُتَعَهَا الزائلة من المال والثروة والجاه ومختلف اللذات العاجلة الزائلة، وتاقت نفسه إلى ما هو دائم غير زائل، فبذلك تزول عنه همومه وغمومه، فيسعد في الدنيا بطرحها، ويسعد في الآخرة لأنه عمل لأجلها، ولقاء ربه ورؤيته له.

وإذ ذكر ابن مسكويه بعض الأمراض الغالبة التي تخص النفس، وأشار إلى علاجها ودلّ على شفاؤها، فإنما ذلك من أجل أن يسعى العاقل لنفسه فيما يُخَلِّصُهَا من آلامها ويُنْجِيهَا من مهالكها، وهذا كله من كمال تربية الإنسان نفسه على التَّصَفُّفِ والاعتدال، وعلى العلم الذي يُزَيِّجُ الجهل، فإنَّ أغلب الشرور من الجهل، والباقي من سوء التدبير بعد العلم. والله الهادي إلى سواء السبيل.

5. خاتمة:

في آخر هذه الورقة يمكن الوصول إلى النتائج الآتية.

● لقد بدأ ابن مسكويه حياته الأولى بعيدا عن التربية الصالحة كما اعترف هو في كتبه، وهذه التربية قد أثّرت عليه قليلا أو كثيرا، وهذا من أكبر ملامح التربية اليوم؛ أين يجب التركيز على مرحلة الطفولة الأولى؛ حيث يكتسب الطفل كثيرا من القواعد والمعاني، وتُرْسَخ في قلبه الصغير معالمُ الصلاح، وجُلُّ صلاح الولد من صلاح الوالد كما يقول الحكماء.

● بعد الطفولة غير الموفقة لابن مسكويه انخرط في الوظيفة، وخالط الصالح والطالح، وعرف مغريات المنصب وسَحَبَ الندماء، وذاق من كأس اللذة والمتعة، وركب المنكر كما ركبوا، وكان ذلك درسا عمليا لم يتعلمه من شيخ أو مدرسة، وهذا ملمح آخر؛ وهو أنَّ الحياة تُعَلِّمُنَا ما لم نتعلمه في المدرسة، وأن الزمن أكبر معلّم، ولم لم يُرَبِّه والداه ربّه الزمن.

● إنه من الخطأ المشين التركيز على أخطاء الماضي، خاصة إذا كانت في سنوات الطفولة أو الشباب المبكر. قال الله تعالى على لسان فرعون وهو يلتمز موسى عليه السلام: "ألم نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ". فالخطأ يُصحح، وباب التوبة مفتوح، والإسلام يجبُ ما قبله. وهذا ملمح تربوي

لنا جميعاً؛ وهو أن العودة إلى الحق خير من التماذي في الباطل، ولا يقل أحد منا: لقد فات الوقت، ولا فائدة من التوبة وتصحيح السلوك، بل ما دمنا أحياء فالفرصة لا تزال سائحة.

● تأثير الصحبة على الإنسان، والصاحب صاحب؛ إن إلى الخير أو إلى الشر. فينظر أحدنا من يصاحب، والمرء على دين خليله. فعلياً ألا نترك أولادنا هملاً، يصاحبون من هب ودب، بل علينا اختيار الصحبة الصالحة، وهذا دليل تأثير المحيط على بني البشر، إلى درجة أن قال بعض الحكماء: "الإنسان ابن بيئته وليس ابن والديه."

● إن فتنة السلطان أشد فتن الدنيا على الرجل الكيس بلة من دونه؛ فهي تعطيه من الملمات الظاهرة، وتسلبه النعم الباطنة. وليس أحد يسلم من فتنة السلطان إلا من عالج نفسه بالتهذيب والتربية والتمسك بحبل الله، وإلا فما على الرجل العاقل إلا مجانبة السلطان، حتى وإن اضطر أن يعطى على جذع شجرة حتى ينصره الله أو يهلك دونه.

● لم يكن ابن مسكويه منظراً أخلاقياً مُعْتَلِياً بِرُجْه العاجي، كما وصفه كثير من معاصريه ومنهم التوحيدي، وإنما كان يُنْظَر من واقع كان يعيشه لحظة لحظة، فلم يفترق قوله عن عمله، والدليل على ذلك أنه كان مربياً لابن العميد "أبي الفتح"، نظراً للثقة التي وضعها فيه ابن العميد.

● إن الزمن الذي عاش فيه ابن مسكويه زمن فتن وابتلاءات وزمن انحدرت فيه الحضارة الإسلامية عموماً إلى مستويات غير مسبوقة، أثر ذلك على كل مناحي الحياة، ومنها التربية والأخلاقية؛ فانقلبت الموازين، وانتكست القيم، وتبدلت المفاهيم رأساً على عقب. وهو زمن أشبه ما يكون بزماننا اليوم، فما أحوجنا إلى مثل فكر ابن مسكويه، وما أكثر حاجتنا إلى التأسي بسلوكه في شطر حياته الثاني.

● إن ابن مسكويه يمثل حالة فريدة من نوعها؛ فهو عالم مسلم عاش في بلاط السلاطين، وخالط منهم الصالح والطالح، وخاض في تجارب الحياة الحلو منها والمر، واهتم بمختلف العلوم الطبيعية والطبية في البداية، ثم تحول عنها إلى التاريخ والأخلاق، وهو الذي غاص في الشهوات والملمات في شطر غير يسير من حياته، ثم استقامت له الخاتمة كما

نحسب. ولذلك فهو مثال مختلف للإنسان الخائض في تجارب الحياة، تصفو له مرة وتكدر عليه مرات. وفي الأخير استطاع أن يترك لنا إرثا فكريا وفلسفيا نادرا، يمكن الاستنارة به في دياجير الحياة، ويكون لنا درسا مفيدا عن الحياة والناس والإله والطبيعة.

● لقد كان ابن مسكويه من القلائل الذين نظّروا للفكر التربوي والأخلاقي، وكانت له نظرات ثاقبة فيهما، خاصة النفس والسعادة وتربية الأطفال وغيرها، وحري بنا أن نستفيد منها اليوم، للمضي قدما نحو التأسيس لمنظومتنا الفكرية والأخلاقية .

6. قائمة المصادر والمراجع:

- ابن مسكويه، تاريخ الأمم وتعاقب الهمم، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة 2003.
- ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، الحكمة الخالدة (جاويزان خرد)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1952.
- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تقديم: الشيخ حسن تميم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 2 (د. ت).
- ابن مسكويه، الفوز الأصغر، الدار العربية للكتاب، سلسلة إحياء التراث الفلسفي، طبعة 1987.
- أحمد، سعد مرسي، تطور الفكر التربوي، عالم الكتب، القاهرة، ط 11/1992.
- أرسطوطاليس، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمه من اليونانية إلى الفرنسية: بارتلمي سانتيلير، ونقله إلى العربية: أحمد لطفي السيد، انتشارات أفتاب تهران، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924.
- أركون، محمد، نزعة الأنسنة في الفكر العربي: جيل مسكويه والتوحيد، دار الساق، بيروت، ط 2/2006.

-الإسلامبولي، عبد العزيز، "ابن مسكويه هو صاحب نظرية تطور الكائنات الحية وأصل الإنسان"، مجلة منبر الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، عدد9، السنة22، رمضان 1384هـ/4 يناير 1965.

-بيومي، عبد الحميد سامي، "الفيلسوف ابن مسكويه"، مجلة الأزهر، القاهرة، مطبعة الأزهر 1938، جزء10، مجلد9، شوال1357هـ.

-البیومي، محمد رجب، "ابن مسكويه: فيلسوف إسلامي يتحدث عن الموت"، مجلة الأزهر، القاهرة، ج8، سنة57، شعبان 1405هـ/أبريل، ماي1985.

-التكريتي، ناجي، الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكر الإسلام، دار الأندلس، بيروت، ط2/1982.

-التوحيدي، أبو حيان إبراهيم الكيلاني، الإمتاع والمؤانسة، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة2007.

-التوحيدي، أبو حيان إبراهيم الكيلاني، مثالب الوزيرين، دار الفكر، دمشق، طبعة1961.

-الجابري، محمد عابد، العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2001.

-الجيار، إبراهيم، دراسات في تاريخ الفكر التربوي، مكتبة غريب، القاهرة، (د.ت).

-حسن، حسن محمد، دراسات في الفكر التربوي، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط2/1983.

-الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، دار المأمون، مصر، (د.ت).

-الحموي، ياقوت، معجم البلدان، مطبعة السعادة، القاهرة، (د.ت).



-الخالدي، أحمد سامح، "مسكويه أبو علي الخازن: الأديب، الفيلسوف، المؤرخ، الحكيم، القصصي"، مجلة الرسالة، القاهرة، عدد790، السنة16، 18 شوال1367هـ/23 أغسطس1948.

-زقزوق، محمود حمدي، مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، الكويت، ط3/1983.
-طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، طبعة2006.

-عطية، محيي الدين، الفكر التربوي الإسلامي: قائمة ببيوغرافية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط4/2000.

-العوّا، عادل، مذاهب السعادة، دار الفاضل، دمشق، 1991.
-غريغوار، فرانسوا، المذاهب الأخلاقية الكبرى، ترجمة: قتيبة المعروف، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3/1984.
-الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، عالم الكتب، دمشق (د.ت).

-الفاوي، عبد الفتاح أحمد، الأخلاق: دراسة فلسفية دينية، مطبعة الجبلاوي، شبرا، مصر، ط1/1990.

-الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت.
-محجوب، عباس، أصول الفكر التربوي في الإسلام، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، جدارا للكتاب العالمي، عمّان، الأردن، ط1/2006.

-المرزوقي، آمال حمزة، النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي، دار تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1/1982.

-ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، الدار المصرية، مصر، (د. ت).

-موسى، محمد يوسف، فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية، مؤسسة الخانجي، القاهرة، طبعة 1963.

-النهان، محمد فاروق، "مفهوم الأخلاق عند ابن مسكويه في كتابه تهذيب الأخلاق"، مجلة الأكاديمية، المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2008، عدد 24، سنة 2007.

المواقع الإلكترونية:

hekams.com/?id=1177

islamweb.net/ar/article/12615